إيتاليا ومؤتمر الصلح

الانكماش بعد التوسع

كان المتوقع أن ينعقد مؤتمر الصلح بباريس فى اليوم الأول من شهر مايو لسنة ١٩٤٦ . ولكن مضاعفات دولية جاءت ترجىء انعقاده إلى الموعد الذى يحدده « وزراء الخارجيات » الذين يجتمعون فى الخامس والعشرين من شهر ابريل ، بل جاءت تنذر بأنه قد لا يعقد بالمدى الذى كان قد أعلن ذهابه إليه ، إذ قد لا يتوافر إجماع الرأى لدى «وزراء الخارجيات» فيؤثر عقد معاهدات منفردة على عقد مؤتمر للصلح عام .

ومهما يكن من أمر الاتجاه الذى ستسفر عنه الملابسات فإن معاهدة الصلح مع إيتاليا هى التى تشغل « الدبلوماسية » العالمية هذه الأيام ، والتخوم الإيتالية هى التى تنال أكبر نصيب من شغل هذه الدبلوماسية .

وقدخرجت الحبشة بالفعل من نطاق الإمبراطورية الرومانية الجديدة التى كان يحلم بها موسوليني ، ولا بد أن ستخرج من السيطرة الإيتالية أرتريا وأن يخرج الصومال أيضاً ، وهما القطران المجاوران اللذان لاتفتأ الحبشة تطالب بهما ، كما تعنى انجلترا بمصيرهما وهما على حدود السودان وبعض مستعمراتها الإفريقية .

وكذلك سيكون شأن جزر الدوديكانيز التى كانت إيتاليا قد استولت عليها سنة ١٩١١ من تركيا وكانت قد احتلتها واحتلت رودس معها على اعتبار أنها وريثة البندقية والمسيحية اللاتينية فى القرون الوسطى . وجزر الدوديكانيز إغريقية تربد اليونان أن تعود إليها ، وإن كان الاتحاد السوفيتى إذ يشعر أنه وريث «الإمبراطورية الشرقية القديمة» — يداعب أمل الاستيلاء عليها أو على بعضها حتى تكون له منها نقطة ارتكاز فيما وراء البوسفور والدردنيل .

ويجىء بعد ذلك دور ليبيا ، وهى التى وجه منها الهجوم على وادى النيل ، واتجهت منها الأنظار إلى ما وراء وادى النيل من الأقطار الآسيوية

الموصلة إلى إيران وإلى الهند. ويصدر عن انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا ميل إلى وضعها تحت الوصاية، على أن تكون هذه الوصاية من نصيب انجلترا بالنسبة لبرقة، ومن نصيب إيتاليا ذاتها بالنسبة لطرابلس. وتعارض روسيا إرجاع النفوذ الايتالى إلى طرابلس، وتطالب بأن تكون لها هى الوصاية على ليبيا كلها إن لم يعلن استقلالها. وتنادى مصر وسائر البلاد العربية بضرورة استفتاء الأهلين فإما إلى استقلال وإما إلى وصاية الجامعة العربية دون سواها

وهكذا تصفى الممتلكات الايتالية السابقة فى إفريقيا الشرقية وفى إفريقيا الشمالية وفى شرق البحر المتوسط. ويرجع بالبصر إلى إيتاليا الأوربية ذاتها فتوضع امامه مسائل ثلاث: تصحيح التخوم طوال جبال الألب الفرنسية، وتبعية التيرول، ومصير تريستا، وقد يضاف إليه مصير جزيرة بانتليريا فى قناة صقلية، وهى الجزيرة الصغيرة التى تتوسط المسافة بين صقلية وتونس والتى كان موسولينى قد جعل منها قاعدة بحرية تصلح لالتجاء النسافات والغواصات كما تصلح حاملة طائرات ثابتة فى ممر إجبارى. وأغلب الظن أن بريتانيا العظمى ستطالب بنزع السلاح عن هذه الجزيرة وإن لم يكن لها أى أثر جدى فى مضايقة حركات البحرية البريتانية خلال الحرب العالمية الثانية.

أما تصحيح التخوم عند جبال الألب الفرنسية، فيرجع الأمر فيه إلى ما تراه النظرية الفرنسية من أن بعض القرى التى اختارت انضمامها إلى فرنسا فى استفتاء سنة ١٨٦٠ ولكن ألحقت بإيتاليا تمكيناً لملكها من الاحتفاظ بالمساحات اللازمة لصيده، يجب أن تعود إلى فرنسا، ولا تزال رغبة الأهلين فى تلك القرى هى التى أعلنها جدودهم منذ ست وثمانين سنة. وهذا إلى أن بعض المراعى الواقعة فى المنحدر الفرنسى والتى تصلح لغذاء ماشية القرى الفرنسية القريبة ملحقة بإيتاليا.

ويخص الفرنسيون بالذكر حالة وادى أوست، وأهله يتكلمون الفرنسية من قرون، ويحسون بقلوبهم أنهم فرنسيون. وقد أراد موسولينى أن « يُتَلْيِنهم » فكانت محاولاته عبثا. لكن هذا الوادى واقع على المنحدر الإيتالى، فيجب إرضاء لأهله وتحقيقاً لرغباتهم القومية تصحيح التخوم لإعادتهم إلى فرنسا وإلحاق واديهم بها. ولكن منطقتهم قريبة من مدينة تورينو التى يتصلون بها اتصالا تجاريا وثيقاً.

وتدعم النظرية الفرنسية اتجاهها بسابقة الألزاس واللورين ، وتدعو إلى استفتاء أهل القرى الواقعة على التخوم الفرنسية الإيتالية ليختاروا مصيرهم بأنفسهم ، كما كان هو الحال بالنسبة للتخوم الفرنسية الألمانية .

وأما مسألة التيرول الجنوبى فأمرها راجع إلى أن الإمبراطورية النمسوية المجرية كان لها إلى الجنوب من ممر برنر إقليم واسع كانت عاصمته مدينة ترنتى ، وكان أهل قسمه الشمالى من الألمان وأهل قسمه الجنوبى من الإيتاليين ، وقد ضم كله بقسميه إلى إيتاليا سنة ١٩١٨ عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ، بحجة أن الحدود الدفاعية كان ينبغى أن تمر ببرنر . وحاولت إيتاليا « تلينة » السكان الألمان ، وكانت النمسا تتكرر احتجاجاتها على هذه المحاولات الإيتالية . فلما تحالف هتلر وموسولينى رضى أولهما أن يترك لثانيهما شأن المتكلمين بالألمانية فى ذلك الإقليم . لكن النمسا الجديدة التى عادت إلى الوجود بعد الحرب العالمية الثانية قامت تطالب الآن باجراء استفتاء يعرب به الأهلون عن ميولهم ، وقامت إيتاليا الجديدة من جانبها تقترح للقسم النمسوى استقلالا ذاتيا ثقافيا إن لم يكن إداريا فى دائرة الدولة الإيتالية .

وتبقى المسألة الثالثة مسألة تريستا ، وهى المسألة الشائكة حقًّا التى يخشى بعض المتطيرين أن يندلع منها لهب حرب أوربية أو عالمية ثالثة .

وكانت تريستا قبل الحرب العالمية الأولى عاصمة إقليم استريا النمسوى الذى كانت تتبعه ميناء بولا الحربية . وكانت فيومى إلى الجنوب الشرقى مدينة إيتالية اللغة ولكنها ميناء مجرية ، كما كان إقليم دالماسيا إلى الجنوب أيضاً . وكانت إيتاليا تطالب باقليمى استريا و دالماسيا على اعتبار أنهما كانا فيما مضى من أقاليم جمهورية البندقية وإن كانا آهلين من قديم بالصقالبة ، إذا استثنيت موانئ تريستا وفيومى وزارا الآهلة بالإيتاليين .

وقد عرض مؤتمر فرساى للنزاع وقضى فيه بالحاق تريستا وإقليم استريا بايتاليا ودلماسيا وزارا بيوجوسلافيا ، واحتفظ بحل آخر لفيومى التى قصد إليها دانونزيو برجاله واقتطعها اقتطاعا . وظلت الحال على هذا المنوال إلى أن سقطت إيتاليا بسقوط موسولينى ، فهب صقالبة إقليم استريا وطردوا الشرطة الإيتالية وأعلنوا فيه حكمهم ، وجاء الانجليز والأمريكيون فلم يجدوا إلا الأخذ إزاءهم بمبدأ الأمر الواقع ، وإن كانوا قد راحوا يحتلون المنطقة كلها دون أن

يمنع احتلالهم الجيش اليوجوسلافى من الوصول إلى خط الدفاع الواقع عند ضواحى تريستا .

وموقف يوجوسلافيا اليوم من المشكلة هو أن إقليم استريا كله يجب أن يكون جزءاً من يوجوسلافيا بتريستا وفيومى وزارا . وتقول إيتاليا إن فيومى وزارا وجزيرتين أو ثلاثاً يتكلم جميع أهلها الإيتالية فيجب أن تلحق كلها بإيتاليا . أما تريستا — وكثرة أهلها هى أيضاً إيتالية — فستنهار اقتصاديا إذا ما ضمت إلى يوجوسلافيا . وتلوح فى الأفق نظرية موفقة بين الاتجاهين ، تقول بجعل تريستا مدينة حرة تصبح بمثابة ميناء حرة ، على الادرياتى والبحر المتوسط لأوربا الوسطى كلها .

وإذن فستخرج إيتاليا بمعاهدة الصلح المنبعثة من مؤتمر شامل أو من مصالحات منفردة ، معدلة حدودها تعديلا يضعف من شأنها ويفرض عليها الانكماش بعد أن كانت تتيه فى أحلام التوسع .

وعجيب هذا القدر ! بدأ موسولينى حياته العامة « اشتراكياً » يمقت الحرب ويحمل على المؤيدين للنزاع الإيتالى التركى ، ويحمل على الموجهين للقوات الإيتالية إلى طرابلس لانتزاعها وفتحها ، ثم ينقلب « فاتحاً متوسعاً » يعتدى على الحبشة ويحلم بتحقيق «الامبراطورية الرومانية العظيمة» و«بحره» الخاص ، ثم لايلبث هذا الحلم أن يتبدد ، ولا تلبث أجزاء تلك الإمبراطورية أن تتناثر ولما يمض بعد عام واحد على موته بأيدى شعبه تلك الميتة الشنيعة !

محمود عزمى